

ويحضرني الآن نموذج علق في ذهني منذ فترة ، وأتذكر مصدره ، فأهرع الى مجموعة « ابداع » ، فاذا القصة بعنوان « شيء للمستقبل » ، واذا القاص « على ماهر ابراهيم » وموطنه « باريس » (V) .

والقصة لقطة تهكمية تمرق في طائرة ، لتقدم لنا نموذجين هامين من نماذج المهاجرين في لحظة عابرة . وتبدأ اللحظة بمساعدة الجار لجاره في المقعد - الذي يبدو أنه يركب الطائرة لأول مرة - في ربط حزامه ، وتنتهي بنهوض الجار المدرب غاضبا الى دورة المياه لينقطع الحديث الذي كشف عن شخصيتيهما بتركيز موائم . والنموذج الأول شيخ في التاسعة والخمسين من عمره ، استقال - وهو وكيل وزارة قديم - من منصبه ، وقرر السفر الى « المملكة » لتدبير جهاز ابنته الوحيدة التي تمت خطبتها الى « طبيب معدم » . فالحاجة هي التي ألجأت هذا النموذج الى تكملة تضحيته بالاغتراب في أواخر أيام حياته . ولم يحتاج الكاتب الى أكثر من الإشارة لوضعه الوظيفي ليتخيل القارئ - غير المصري - مساحة الشرفاء المحتاجين في مصر . حتى أصبحنا نقول مطمئنين : ان الحاجة في مصر أم الاغتراب . بعد أن أضحي الاغتراب هو الاختراع الوحيد الذي يجيده أبناؤها .

ويهمنا في هذا المقام ، ويهم القصة في المقام الأول : النموذج الثاني . وأغاب الظن أنها ما استضافت الأول الا لالقاء الضوء الساطع على الثاني ، الباحث عن « شيء للمستقبل » . وقد هاجر هذا النموذج شابا . اذ أنه لم يعمل في مصر سوى أربع سنوات بعد تخرجه وتجنيدته ، ثم تزوج وسافر الى « المملكة » منذ عشر سنوات . وكان سبب السفر هو « تكوين نفسه » . لكن التكوين لا ينتهي عند حد . فالمال سحب . وديستوفيسكي هو الذي قال في رواية : « الأهل » ان المال يمنح الأصل لمن لا أصل له ، والموهبة لمن لا موهبة له ، وذلك في معرض حديثه عن قوة المال التي تتلف كل ما هو انساني مشرق ، وكشفه للرابطة الوثيقة بين طغيان قوة المال ، وسيطرة عديمي الموهبة على المجتمع .

بهاء طاهر قال نفس الكلام في قصته القصيرة الطويلة : « محاوره الجبل » (٨) والكلام قديم . أما الجديد فهو التجسيد الفني المبدع له ، سواء عند ديستوفيسكي أو بهاء . تعقد « محاوره الجبل » بين محورين : المحور الذي يؤمن بقوة المال وينساق وراءه ، والمحور الذي يعرف قوة المال ويفضل أن يعيش مسكينا ، ويموت مسكينا ، ويخسر في زمرة المساكين . أما المحور الأول فيمثل « السمسار » . وأما المحور الثاني فيمثل موظف صغير كان ذات يوم طالبا جامعا وشاعرا ، لكنه عندما قرأ